@ 799 @ سورة الحجرات ^ (يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي ا ورسوله واتقوا ا إن ا سميع عليم * يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون * إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول ا أول ئك الذين امتحن ا قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم) ^ هذا متضمن للأدب مع ا تعالى ، ومع رسول ا صلى ا عليه وسلم ، والتعظيم والاحترام له ، وإكرامه . فأمر ا عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان با ورسوله ، من امتثال أوامر ا ، واجتناب نواهيه ، وأن يكونوا ماشين ، خلف أوامر ا ، متبعين لسنة رسول ا صلى ا عليه وسلم في جميع أمورهم ، وأن لا يتقدموا بين يدي ا ورسوله ، فلا يقولوا حتى يقول ، ولا يأمروا حتى يأمر . فإن هذا حقيقة الأدب الواجب مع ا ورسوله ، وهو عنوان سعادة العبد وفلاحه ، وبفواته تفوته السعادة الأبدية ، والنعيم السرمدي . وفي هذا ، النهي الشديد عن تقديم قول غير الرسول صلى ا عليه وسلم على قوله ، فإنه متى استبانت سنة رسول ا صلى ا عليه وسلم وجب اتباعها ، وتقديمها على غيرها ، كائنا من كان . ثم أمر ا بتقواه عموما ، وهي كما قال طلق بن حبيب : أن تعمل بطاعة ا ترجو ثواب ا ، وأن تترك معصية ا على نور ا ، تخشى عقاب ا . وقوله : ! 2 2 ! ، أي : لجميع الأصوات في جميع الأوقات ، في خفي المواضع والجهات . ! 2 2 ! بالظواهر والبواطن ، والسوابق واللواحق ، والواجبات والمستحيلات والجائزات . وفي ذكر الاسمين الكريمين بعد النهي عن التقدم بين يدي ا ورسوله ، والأمر بتقواه حث على امتثال تلك الأوامر الحسنة ، والآداب المستحسنة ، وترهيب عن ضده . ثم قال تعالى : ! 2 2 ! ، وهذا أدب مع الرسول صلى ا عليه وسلم ، في خطابه ، أي : لا يرفع المخاطب له ، صوته معه فوق صوته ، ولا يجهر له بالقول ، بل يغض الصوت ، ويخاطبه بأدب ولين ، وتعظيم وتكريم ، وإجلال وإعظام . ولا يكون الرسول كأحدهم ، بل يميزونه في خطابهم ، كما تميز عن غيره في وجوب حقه على الأمة ، ووجوب الإيمان به ، والحب الذي لا يتم الإيمان إلا به ، فإن في عدم القيام بذلك محذورا ، خشية أن يحبط عمل العبد وهو لا يشعر ، كما أن الأدب معه من أسباب حصول الثواب ، وقبول الأعمال . ثم مدح من غض صوته عند رسول ا صلى ا عليه وسلم ، بأن ا امتحن قلوبهم للتقوى ، أي : ابتلاها واختبرها ، فظهرت نتيجة ذلك ، بأن صلحت قلوبهم للتقوى . ثم وعدهم المغفرة لذنوبهم المتضمنة لزوال الشر والمكروه ، وحصول الأجر العظيم ، الذي لا يعلم وصفه إلا ا تعالى ، وفيه حصول كل محبوب ، وفي هذا ، دليل على أن ا يمتحن القلوب ، بالأمر والنهي والمحن .

فمن لازم أمر ا ، واتبع رضاه ، وسارع إلى ذلك ، وقدمه على هواه ، تمحض وتمحص للتقوى ، وصار قلبه صالحا ، ومن لم يكن كذلك ، علم أنه لا يصلح للتقوى . ! 2 2 ! نزلت هذه الآيات الكريمة في ناس من الأعراب ، الذين وصفهم ا بالجفاء ، وأنهم أجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل ا على رسوله ، قدموا وافدين على رسول ا صلى ا عليه وسلم ، فوجدوه في بيته وحجرات نسائه ، فلم يصبروا ويتأدبوا حتى يخرج ، بل نادوه : يا محمد يا محمد ، أي : اخرج إلينا . فذمهم ا بعدم العقل ، حيث لم يعقلوا عن ا الأدب مع رسوله واحترامه ، كما أن من العقل استعمال الأدب . فأدب العبد ، عنوان عقله ، وأن ا مريد به الخير ، ولهذا قال : ! 2 2 ! ، أي : غفور لما صدر عن عباده من الذنوب ، والإخلال بالآداب ، رحيم بهم ، حيث لم يعاجلهم بذنوبهم بالعقوبات والمثلات .